فائدة الالكحول واضراره

قرأنا للاستاذ جراهم لسك من جامعة كورنل مقالة في فائدة الالكحول واضراره جاء فيها على خلاصة ابحاث العلماء في هذا الموضوع فاقتطفنا منها ما يأتي

لما كان كاتب هذه السطور قليلاً في مونخ حوالي سنة ١٨٩٠ كان الناس هناك يكثرون من شرب البيرة كغيرهم من الشعوب الالمانية ويتبارون في شربها بطريقة يسمونها المباراة بالبيرة وهي ان يملأ الشاربون كؤوسهم ثم يرفعونها عن المائدة عند اشارة معلومة فمن افرغ كاسهُ واعادها الى المائدة قبل الاخرين عُدَّ فائزاً . وكثيراً ما كنت اسمعهم يقدرون نفقة النزهة بعدد كؤوس البيرة فيقول الواحد منهم مثلاً لا اقدر ان اسافر في عطلة العيد الى الرين لان السفر يكلفني كذا وكذا من كؤوس البيرة

وقد عدت الى المانيا سنة ١٩٠٦ فرأيت انقلاباً كبيراً في عادات اهلها . دعيت مرة الى الطعام في هيدلبرج وكانت الاشربة التي على المائدة الليموناضة والنبيذ الابيض فكاد الحاضرون لا يمسُّون النبيذ بل كان شربهم الليموناضة فقط[1] . ولهذا الانقلاب سببان الاوَّل ولوع الشبان الالمانيين هذه السنين بالرياضة البدنية فقد صاروا يهتمون بها اكثر من ذي قبل فيلهون بها عن معاطاة الاشربة الروحية . والسبب الثاني الامر الذي اصدرهُ القيصر فانهُ قد سمح لشعبهِ ان يشربوا لخبهُ بالماء وقد كان يحسب ذلك قبلاً اهانة لهُ فلم يكن الامتناع عن المسكرات من الامور السهلة في تلك البلاد . ومن الاسباب التي آلت الى قلة شرب المسكرات تهكم علماء الفسيولوجيا في مونخ وغيرها على شاربي فضلات الاختمار وكثيراً ما نبهوا تلامذتهم الى اضرار المسكرات ولو كره ذلك صانعو البيرة في مونخ وغيرها

وقد اشار الدكتور موط[2] في خطبة لهُ القاها حديثاً في لندن الى اهمية البحث في هذا

---

(١) (المقتطف) حدث لنا مثل ذلك ذهبنا لقضاء فصل الصيف في سويسرا سنة ١٧ سنة فلم نجد ماء يشرب في المترل الذي اقمنا فيه لان الناس كلهم كانوا يشربون الخمر على الطعام بدل الماء واضطرَّ اصحاب المترل ان يسقونا لنا الماء من عين بعيدة . وذهبنا الى فرنسا وانكلترا تلك السنة فكان الدل يسخرون طلبنا الماء على الطعام . ثم صارت الحال تتغير رويداً رويداً . فيزيد استعمال الماء ويقل استعمال الخمر . ومنذ سنتين ذهبنا الى بلاد الانكليز وانما في فندق لا يشرب فيه احدٌ الماء واذا اراد احد ان يشرب خمراً اضطرَّ ان يخبر صاحب الفندق في اليوم السابق لكي يأتيه بما يريد شربهُ منهُ

(٢) طبيب مشهور وهو استاذ الفسيولوجيا في الدار المالكية ببلاد الانكليز (م)

الموضوع من وجهٍ عملي وقال السر كانفورد اليوت ان اكثر ما كتب عن اضرار المسكرات كان من الوجه الادبي فقط واذا بحث في هذه الاضرار بحثاً علمياً كانت الفائدة اتم

لا يخفى ان كثيرين من الناس يشربون المسكرات لتنبيه المعدة وزيادة القابلية للطعام والمسكرات على انواعها ليست الكحولاً صرفاً بل فيها موادّ اخرى تجعل لها طعماً لذيذاً وهي من اسباب رغبة الناس فيها ولا شبهة في ان الالكحول من اقوى المنبهات التي تزيد افراز العصارة المعدية فانهُ قد ينبّه المعدة من غير ان يدخلها كما لو حقنت الامعاء به . والمقدار الصغير منهُ ينبهها مثلما ينبهها المقدار الكبير فلا لزوم للافراط في تناول الاشربة الروحية لهذا الغرض . وعلى كلٍّ لا لزوم لهذا التنبيه لان المعدة تهضم طعامها في غالب الاحيان بمساعدة التوابل المعتادة وهي في غنىً عن الالكحول لتنبيهها

هذا من جهة تنبيه المعدة لكن الالكحول من المواد المغذية وقد يقوم مقام الاطعمة في تغذية الجسم فقد قال احد بائعي الخمور مرّة لما سمع ارآء الفسيولوجيين من هذا القبيل ان خمّارتهُ اذاً مطعم من المطاعم . والتغذية كما لا يخفى تقوم بتقديم الوقود الى الخلايا (الخلويصلات التي يتألف منها الجسم) وما وقودها الاّ المواد الكربية والدهنية فاكثر الاطعمة تتحول في الجسم الى هذه المواد فاذا احترقت او بالحري تأكسدت خرج منها قوة تحرك البروتوبلاسما التي تؤلف منها الخلايا وهذه الحركة هي ما نسميهِ بالحياة او الافعال الحيوية

وقد اثبتت التجارب ان الالكحول من المواد المغذية منها التجربة الآتية : غُذّي رجل بالاطعمة المعتادة ثلاثة عشر يوماً فكان يأكل منها يومياً مقداراً فيهِ ما يولّد ٢٤٩٦ وحدة من وحدات الحرارة يحرق منها في جسمهِ ٢٢٢١ ويخزن من الدهن ٣٣٧ الغرام . ثم غذّي عشرة ايام بطعام آخر فيهِ ايضاً ما يولد ٢٤٩٦ وحدة كالطعام الاول وكان منها ١٩٩٦ في الطعام المعتاد والخمسمئة الباقية في مقدارٍ معلوم من الالكحول وهو زجاجة نبيذ يشربها في ست جرعات متباعدة . فكان الالكحول يحترق كلهُ تقريباً ولا يظهر منهُ في بولهِ الاّ جزء صغير جدًّا وكان جملة ما يحترق في جسمهِ من الالكحول وسائر المواد الاخرى ما يساوي ٢٢٢١ وحدة اي كما يحترق في التجربة الاولى وكان الدهن الذي يبقى في جسمهِ يومياً ٣٤١ الغرام اي اكثر قليلاً من ذي قبل . فواضح مما تقدّم ان الالكحول غذاء للجسم وقد يقوم مقام الدهن والسكر في الاحتراق اي ان خلايا الجسم تستطيع ان تحفظ حركتها بهِ كما تحفظها باحتراق الاطعمة المعتادة

فالالكحول اذاً طعام من الاطعمة واذا كان في المسكرات مواد اخرى مغذية كما في بعض انواع البيرة الالمانية فانها تكون اكثر فائدة في التغذية . لكن لا مسوغ مطلقاً للاستعاضة عن الاطعمة المعتادة بالالكحول فان الادلة كثيرة على ان الالكحول يحدث تغيراً في الخلايا يجعلها اضعف مقاومة لبعض الآفات . فقد ثبت بالتجربة ان الارانب اذا سقيت مقداراً من الالكحول كل يوم صارت سريعة الانصداء اذا لقحت بمعض الميكروبات وتكون الآفات التي تنتج من هذا التلقيح اشد من الآفات التي تصيب الارانب الأخرى اذا لقحت مثلها . سقى بعضهم الكحولاً لبعض الارانب على نسبة سنتيغرام مكعب من الالكحول الصرف لكل كيلوغرام من وزنها وهو ما يعادل اربع اواقٍ او نحو من الويسكي اذا شربها الانسان . ولم تكن الارانب تسكر من هذا المقدار لكنها بعد ان استمرت على شربه زمناً صارت اقبل للعدوى بالميكروبات المرضية من الارانب التي لم تسق شيئاً من المسكرات . وقد جرّب مثل ذلك في الكلاب فصارت اقل مقاومة للامراض من الكلاب الاخرى المقيمة معها في مكان واحد

ومن هذه التجارب ان احدهم اخذ المادة المعروفة بالاسيتونيتريل وهي سامة بسبب الحامض الهيدروسيانيك الذي ينطلق منها في الجسم فتحقق اولاً جرعتها التي تسم الفيران والارانب وخنازير الهند ثم سقى هذه الحيوانات مقداراً من الالكحول يضعة ايام فوجد ميلها الى السم بالاسيتونيتريل قد ازداد اي ان الكمية التي كانت لا تقتلها قبلاً صارت تقتلها إما لضعف في خلايا اجسامها او لان مقدار الحامض الهيدروسيانيك زاد لتغير في الخلايا . فهذه التجارب كلها تثبت ان الالكحول يحدث تغيراً في الجسم وان هذا التغير لا يحدث متى كان الغذاء من المواد الكربية والدهنية

وقد استعمل الالكحول في الطب منذ زمن بعيد لعلاج ما يقع من الخلل في الجهاز الدوري (الدموي) وجاء في تقرير مستشفى ڤينا العام ان ما انفق فيه من الاشربة الروحية في سنة ١٨٩٧ بلغت قيمته التي جنيه ثم نزلت قيمة ما انفق سنة ١٩٠٥ الى نصف هذا المبلغ . وفائدة الالكحول في مثل هذه الاحوال مختلف فيها فيرى بعض الباحثين انهُ غذاءٌ للقلب ومنبّهٌ لهُ ويرى غيرهم ان الخلل الذي يطرأ على الجهاز الدوري في بعض العلل الحادة منشأهُ في المراكز المحركة للاوعية لا في القلب وان الجرعات الصغيرة من الالكحول في مثل هذه الاحوال تنبه القلب وتسبب انقباضاً في الاوعية فتزداد الحركة الدموية نشاطاً امّا اذا زيدت الجرعة التي تفعل هذا الفعل ولو قليلاً حدث شلل في المراكز المحركة للاوعية ونشأ عن ذلك اتساع

في الادوية فيكون الضرر اكثر من النفع لذلك يجب الانتباه الشديد في استعمال الالكحول علاجاً

وللالكحول تأثير كبير في الجهاز العصبي لكن الاراء مختلفة في هذا التأثير فالبعض يرون انهُ منبه للاعصاب ويقول غيرهم انهُ يسبب فيها انحطاطاً شديداً . ولا شبهة ان مقداراً قليلاً منهُ يجعل شاربهُ يشعر بزيادة في نشاطهِ وانشراح في صدرهِ لاسيما متى كانت الانوار متلألئة والرفقة متجانسة لكن اذا زاد المقدار تلعثم اللسان واضطربت حركات الاعضاء ثم اذا زاد كثيراً فقد الشارب شعورهُ بل ربما فقد حياتهُ . واذا تناول الانسان قليلاً من المسكر شعر في بادئ الامر انهُ صار اقدر على العمل ثم يعقب ذلك انحطاط شديد فيكون مجموع ما يعملهُ في يومهِ اقل مما لو لم يشرب مسكراً

وقد جُرِّبت تجارب كثيرة لمعرفة تأثير الالكحول في الدماغ منها ما جرّب في جامعي الحروف . أعطي بعضهم مقداراً من الاشربة الروحية فصاروا ابطأ عملاً واكثر خطأً من غيرهم وكان تأثير المسكر في عملهم يبقى ٢٤ ساعة بعد تناولهِ والغريب انهم كانوا يظنون ان عملهم افضل من عمل الاخرين

وجُرِّبت تجارب اخرى يعرف منها الفرق في الزمن الذي يحفظ فيهِ الرجل ٢٥ بيتاً من الشعر فقد وجد ان الزمن يزيد ٦٩ في المئة متى شرب الانسان شيئاً من المسكر قبل طعام الصباح . واذا طُلب منهُ ان يعيد ما حفظهُ كان ابطأ في تكرارهِ واكثر خطأً منهُ لو لم يشرب شيئاً

ويتضح مما تقدَّم ان الالكحول لا ينبه القوى العقلية بل يضعفها . والقوى التي يصيبها الضعف قبل غيرها هي القوى الراقية التي لا يتمُّ نموها الاَّ متى تقدَّم الانسان في العمر مثل امتلاك عنان النفس وحفظ الانسان كرامتهُ فانهُ اذا فقد هاتين الصفتين حُلَّت القيود الادبية التي يقيَّد بها فلا يعود يتنبه للمحافظة على العادات المألوفة ولا يهتم بغيرهِ بل بنفسهِ فقط ولا يقدر ان يملك ارادتهُ فيفعل اموراً لم يكن يفعلها قبلاً

والمسكرات عامل كبير من عوامل الفساد وهي الباعث على ارتكاب كثير من الجرائم فقد قيل ان ٦٠ في المئة من الجرائم سببها شرب المسكرات . هذا فضلاً عما ينتج عنها من خراب البيوت فقد قال بعضهم انهُ لو فرض ان الالكحول دواء من الادوية وجرّب في العلاج ووجد ان بعض الذين عولجوا بهِ صار استعمالهُ عادة فيهم لقامت قيامة الناس عليهِ ومنع

استعماله . فالكوكايين دواء انفع منه وكاد يصيبه شيء من هذا المنع لان بعض الذين عولجوا به صار تعاطيه عادة فيهم

ولقد نشرت المجلات الطبية الانكليزية في هذه الايام مقالات كثيرة تبحث في العلاقة بين المسكرات والجنون وبينها وبين الوراثة فقد وجد ان ٦٢ في المئة من المسكيرين الذين ينفذ فيهم نظام السكر في انكلترا يوضعون في الاصلاحيات اما مجانين او مصابون بخلل ما في عقولهم . وربما لم تكن المسكرات سبباً لكل هذه الحوادث من الجنون بل السبب ان المجانين لا طاقة لهم على احتمال الاشربة الروحية فيسكرون بها حالاً لذلك قلما يرى فيهم تشمع الكبد لانهم لا يقوون على الشرب الى الدرجة التي توصلهم الى هذا الداء . ومثلهم المصابون بالصرع والبله والورشيا اي ضعف الاعصاب فانهم لا يحتملون الشرب الكثير فليست اعراض الجنون التي فيهم كلها من المسكرات بل بعضها موروث وربما كان ادمان السكر سبب جنون عشرة فقط في المئة من المجانين

ومن المسائل المهمة التي لها علاقة بادمان السكر مسألة الوراثة وهي هل يؤثر ادمان الوالدين للمسكرات في قوى اولادهم العقلية والبدنية وان كان هناك تأثير فهل سببهُ الادمان فقط او ما يرافقهُ من الانحطاط الخلقي في الآباء ومن الاحوال التي يكونون فيها . وليس اثبات هذه المسائل من الامور الهينة على ان الحوادث التي احصيت حتى الآن تدل على ان ابناء السكيرين يظهر فيهم الميل الى المسكرات في سن قبل السن الذي ظهر فيه في آبائهم ويزداد هذا الميل تكبراً على توالي الاعقاب

والخلاصة ان مسألة المسكرات من المسائل الخطيرة التي يجب ان يبحث فيها علماء هذا العصر بحثاً علمياً وافياً

هذا اهم ما جاء في هذه المقالة وقد اقتصر كاتبها على البحث في تأثير المسكرات بحثاً علمياً فسيولوجياً فيرى القارئ ان اضرار المسكرات تفوق فوائدها وان الجسم يستغني عن هذه الفوائد ويستعيض عن المسكرات بالاطعمة المعتادة التي لا ضرر منها . ومهما قيل في فائدة المسكرات في تغذية الجسم او تنبيه الدماغ او تقوية القلب فانها لا توازي الضرر الذي يصيب الجسم منها هذا فضلاً عن اضرارها الادبية التي لا ينكرها عاقل . ومما يؤسف لهُ ان هذه الآفة آخذة في الازدياد في الشرق وبعض الاشربة التي تأتينا من اوربا او تصنع في هذه البلاد فيها انواع اخرى من الالكحول غير الالكحول المعتاد وهي ليست اقل منهُ ضرراً وعندنا ايضاً آفة الحشيش وهي اشد ضرراً من آفة المسكرات